

أضواء البيان

@ 342 أن يعبد وحده . .

وأوضح هذا في آيات أخر . كقوله في (سورة فاطر) : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مٌخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَأَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَّابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ } ، وقوله : { وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَنْعَامِ وَآخِذَتِ لَفُفٌ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانُكُمْ } ولا شك أن اختلاف الألوان والمناظر والمقادير والهيئات وغير ذلك فيه الدلالة القاطعة على أن جل وعلا واحد ، لا شبيه له ولا نظير ولا شريك ، وأنه المعبود وحده . .

وفيه الدلالة القاطعة على أن كل تأثير فهو بقدره وإرادة الفاعل المختار ، وأن الطبيعة لا تؤثر في شيء إلا بمشيئته جل وعلا . .

كما أوضح ذلك في قوله : { وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مٌتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُصُّ لٌلْ بَعُوضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَرْضِ النَّبَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي يَعْقِلُون } فالأرض التي تنبت فيها الثمار واحدة . لأن قطعها متجاورة ، والماء الذي تسقى به ماء واحد ، والثمار تخريج متفاضلة ، مختلفة في الألوان والأشكال والطعوم ، والمقادير والمنافع . .

فهذا أعظم برهان قاطع على وجود فاعل مختار ، يفعل ما يشاء كيف يشاء ، سبحانه جل وعلا عن الشركاء والأنداد . .

ومن أوضح الأدلة على أن الطبيعة لا تؤثر في شيء إلا بمشيئته جل وعلا أن النار مع شدة طبيعة الإحراق فيها ألقى فيها الحطب وإبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ولا شك أن الحطب أصلب وأقسى وأقوى من جلد إبراهيم ولحمه . فأحرقت الحطب بحرها ، وكانت على إبراهيم برداً وسلاماً لما قال لها خالقها : { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ } فسبحان من لا يقع شيء كائناً ما كان إلا بمشيئته جل وعلا ، فعال لما يريد . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { يَذْكُرُونَ } أصله يتذكرون ، فأدغمت التاء في الذال . والاذكار : الاعتبار والاتعاظ . قوله تعالى : { وَهَؤُلَاءِ سَخَّارَ الْبِحَارِ }

لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً
تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ { .